الفصل الثامن

امتداد الغزو الإسلامي إلى سويسرا وأعالي الراين

القاعدة فراكسينيتوم – تحكم المسلمين في ممرات الألب – اجتياح منطقتي فاليه وفات (أدفو) السويسريتين (٩٣٦) – شرقي سويسرا – وصول المسلمين الى بحيرة كونستانس ومقاطعة سانت جالس في أعالي الراين (٩٣٩) – حول اقامة المسلمين في سويسرا .

obeikandl.com

obeikandl.com

استطاع المسلمون ، وهم فى قلعتهم الحصينة فى فراكسينيتوم بجنوبى فرنسا ، أن يشنوا غاراتهم على ما حولها من البلاد والأقاليم ، وذلك منذ حوالى عام ٨٩٠ م ؛ وقد سهل عليهم أن يتحكموا فى ممرات الألب فى مطلع القرن العاشر الميلادى ، بل وانتهم الظروف التى جعلت من سيطرتهم على منطقة الألب سيطرة قانونية أو شرعية ، اعترف بها أولو الأمر الوطنيون المعاصرون فى جنوبى فرنسا وشمالى إيطاليا .

فقد حدث أن صراعا شب بين هيو (ت ٩٤٨م) كونت بروفانس ، على أثر انتقال تاج مملكة لومبارديا إليه عام ٩٢٦م (١) ، وبين ألبريك Albericus ابن زوجته ماروتزيا Marozia حول النفوذ فى إيطاليا ؛ على أن ألبريك استطاع أن يكون السيد الآمر الناهى فى روما والبابوية ، وأن يتحكم فى المدينة الخالدة نحو اثنتين وعشرين سنة ، وأكثر من هذا تمكن من أن يعين ابنه بابا ، وهو الذى عرف باسم البابا حنا الثانى عشر (٩٥٥م — ٩٦٤ م) (٢)

وخلال صراع هيو فى إيطاليا ، اشتدت غزوات المسلمين فى منطقة بروفانس . وتمكنوا أنذاك من بسط نفوذهم على منطقة جبال الألب

---

(١) Brooke, p. 34

(٢) Ibid, P. 35

وممراتها ، فاستصرخ رعاياه ، مما اضطره إلى الاستعانة بالإمبراطورية البيزنطية ، التى نهضت لنجدته بأسطول مسلح بالنار الإغريقية . وبينما هو يضيق الخناق على حصن فراكسينيتوم الإسلامى قام منافس خطير له يطمع فى عرش مملكة لومبارديا ، هو برنجر الأول Berenger 1 كونت إيفريا Evrea ، ولجأ هذا المنافس إلى الإمبراطور أوتو Otto عام ٩٤٢ م . ولكى يقطع هيو الطريق على منافسه ، اعترف بسيادة العرب على منطقة الألب وبامتلاكهم لمعابرها ، وعقد معهم معاهـــدة طاب إليهم فيها ، كما يقول المؤرخ الألمانى ليتوبراند Liutperand (ت ٩٧٠م) ، أن يقطعوا الطريق على عودة منافسه ؛ وقد وفى العرب بهذا الشرط ، فلم يستطع برنجر العودة إلى إيطاليا إلا عن طريق التيرول (١)

وبذلك أضحى المسلمون سادة فى منطقة جبال الألب ، وفى الحدود بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، وصاروا يتقاضون رسوما على القوافل المارة عبر ممرات الألب سواء أكانت هذه القوافل للتجارة أم للحج إلى روما .

ومن هذه المعابر ، هاجم المسلمون سويسرا ، ولاسيما عن طريق ممر سان برنارد St. Bernard وهو الذى يفصل بين مقاطعة فاليه Valais السويسرية وبين شمالى إيطاليا . واجتاحوا منطقة فاليه ، وكذلك منطقة جريزون Grisons والملحوظ أن رجال الدين الذين جفلوا أمام المسلمين فى بروفانس ، كانوا قد لجأوا إلى فاليه ، ومعهم ما استطاعوا حمله من كنوز

---

(١) غزوات العرب ص ١٧٤ (رينو) ، ٢٥٥ (كار) ، Brooke, P. 35

وأموال وتحف، فكان ذلك من بين أسباب عبور المسلمين إلى سويسرا. وقد وصل المسلمون إلى شواطىء بحيرة جنيف Geneva حوالى عام ٩٣٦ م ؛ ومن المحتمل أن هذا التاريخ لا يحدد أول دخول العرب إلى سويسرا ، والغالب أنهم دخلوها منذ مطلع القرن العاشر الميلادى (١).

واشتدت وطأة الغزوات الإسلامية فى المنطقة الفسيحة بين بحيرة كونستانس Constance فى الشمال الشرقى من سويسرا ، وبين مدينة كور Chur فى شرقى سويسرا . وفى حوليات المؤرخ فلدور Flodoord عن حوادث عام ٩٣٦ : أن العرب شنوا الغارة على سويسرا الألمانية ، وأنهم قتلوا الكثير من الحجاج العائدين من روما (٢) . والواقع أن قسما كبيراً من سويسرا الألمانية ، وهو الواقع بين مدينة كور وبين أعالى الراين كان ميداناً لنشاط العرب ، وقد عثر فى سجلات دير كور ، على كتابة تدل على أن الإمبراطور أوتو الكبير (٩٣٦ — ٩٧٣) عوض فالتو Walto ، مقدم دير كور ، عن الخسائر التى لحقت بأملاك الدير ، نتيجة اجتياح المسلمين . وكان هرمان Hermann أمير سويسرة الألمانية ، قد التمس من الإمبراطور هذا العوض للدير المذكور وذلك فى المجلس الذى عقده أوتو فى مدينة كدلنبرج Cuedlinburg فى أبريل من عام ٩٤٠ م (٣)

وحوالى عام ٩٣٩ م ، أوغل العرب فى منطقة فات Waadt — وهى

---

(١) غزوات العرب ص ٢٥١ (كلر)

(٢) غزوات العرب ص ٢٥١ (كلر)

(٣) غزوات العرب ص ٢٢٥ ، ٢٥٥ ـ ٢٥٦ (كلر)

نفسها فو Vaud — وقاعدتها لوزان Lusanne الواقعة على الشاطئ الشرقى لبحيرة جنيف . كذلك وصل المسلمون إلى منطقة أفانشى Avanchez ومنطقة نيو شاتل Neuchatel وإلى بحيرة تونستانس وسانت جل St. Gallen وأبنزيل Appenzell وسارجان sargan وتوجنبرج Togenburg وكل هذه المناطق فى أعالى نهر الراين (١) .

وتبعاً لرواية الراهب المؤرخ إكهات ، مقدم دير سانت جال (٢) ، وكان قد هرب أمام حركات المسلمين ، أن المسلمين رغبوا فى الاستقرار فى الأقاليم التى وصلوا إليها ، وأنهم تزوجوا من الوطنيات ، وأخذوا يزرعون الأرض ويستغلونها ، وأن الحكام الوطنين فى تلك البلاد لم يسعهم إلا التسليم بمقامهم ، واكتفوا بجباية إتاوة منهم ، وربما استعانوا بالمسلمين فى منافساتهم الداخلية . ولكن ليس من المحقق ، إن كان هذا قد تم فى إقليم فاليه السويسرى أم فى إقليم سافوى . كذلك ليس من المحقق كم بقى المسلمون فى سويسرا ؛ فإن السجلات والكتابات التى عثر عليها فى الأديرة السويسرية ، مثل دير كور ودير سانت جال ودير فافرس Pfafers لم توضح شيئاً فى هذا الصدد ، هذا مع بقاء كثير من الآثار المادية الدالة على استقرار المسلمين فى أنحاء سويسرا المختلفة (٣) .

---

(١) المسلمون فى حوض البحر الأبيض ص ١٣٠ — ١٣١ ، غزوات العرب ص ٢٥٥ — ٢٥٦ (كلر)

(٢) تقع مدينة سانت جالين جنوب بحيرة كونستانس ، وقد كتب هذا المقدم تاريخا لدير سانت جال .

(٣) عن تاريخ سويسرا لمؤلفة مولر (Muller) ج ١ ص ٢٥١ (غزوات العرب ص ٢٦٢ . ٢٦٣ كلر)

من ذلك كتابة وجدت على حجر فى كنيسة القديس بطرس فى مونتجو St. Bierre - Montjoux فى فاليه ، وفى منطقة لوزان مكان يعرف باسم برج المسلمين La Tour des Sarrazins ، وهناك حائط ينسب إلى المسلمين فى مدينة ففلسبرج Viflisburg ، وفى منطقة ديفلي Develiel يوجد كهف منسوب للمسلمين ، وعلى أحد صخوره رقم ٢٣ بالحروف العربية، كذلك فى المقاطعات المجاورة لبازل بقايا أسماء عربية تحف بالطرق الرومانية القديمة ، وهى التى يسلكها العرب فى غزواتهم ، وتوجد فى مدينة بازل ، أسرة تعرف باسم أسرة السرازين ، ولها فروع فى جنيف وهكذا (١) .

ومن المحتمل أن المسلمين غادروا سويسرا ، خلال النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى ، إذ كانت أعدادهم قليلة ، وغزواتهم لم تخرج عن كونها مغامرات فردية أو جماعية محدودة ، فضلا عن أن رجال الدين قد انبروا فى شتى البقاع لإثارة الحماس ضد المسلمين ومطاردتهم ، من ذلك مثلا ، ماذكره الراهب المؤرخ إكهارت ، عن جهود سلفه فالتو فى رئاسة دير سانت جال، إن ذلك السلف قد استنفر الناس حوالى عام ٩٥٤م ضد المسلمين ، فهاجموهم وتمكنوا من قتل كثير منهم ، كما نجح فالتو وقومه فى أسر عدد كبير من المسلمين ، على حين نجح فريق من المسلمين فى الإفلات من أيديهم . وتقول الرواية ، إن الفريق الذى وقع أسيراً ،

---

(١) عن المؤرخ الأب سيراسى Serasset فى كتابه عن أبرشية بازل ، ج ٢ ص ١٤٩ (غزوات العرب ص ٢٥٢ ، ٢٦٧ . كلر)

سيق إلى دير سانت جال مكبلا بالأغلال ، حيث رفض أن يتناول الطعام وآثر الموت جوعاً(١) .

والراجح أنه بعد سقوط قلعة فراكسينيتوم الإسلامية حوالى عام ٩٧٥ م ، لم تعد للمسلمين صولة فى سويسرا أو فى مناطق الألب ، إذ كانت هذه القلعة تعتبر عاصمة للممتلكات الإسلامية الأخيرة فى فرنسا وشمالى إيطاليا وسويسرا ، وهى مشمولة برعاية خليفة قرطبة (٢) .

---

(١) رينو غزوات العرب ص ١٧٧ ، ٢٥٦ . ٢٥٧ (كلر واكهارت)

(٢) رينو غزوات العرب ص ١٦٥

obeikandl.com